الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام ومسؤوليته في أداء إمامته

الأستاذ المساعد

هناء سعدون جبار العبودي

Kin.hna@atu.edu.iq

قسم تقنيات إدارة المواد، المعهد التقني كوفة، جامعة الفرات الأوسط التقنية

Imam Muhammad bin Ali Al-Jawad (peace be upon him) and his responsibility in performing his imamate

Hanaa Saadoun Jabbar Al-Aboudi

Assistant Professor , Department of Materials Management Technologies , Kufa Technical Institute , Al-Furat Al-Awsat Technical University

الملخص:-

تسنم الإمام محمد الجواد عليه السلام مسؤولية إمامة المسلمين في مرحلة مبكرة من حياته الشريفة، وقد حاول النواصب وأعداء أئمة أهل البيت عليهم السلام التقليل من شأنيته عليه السلام بسبب صغر سنه إبان استلامه مسؤولية إمامة المسلمين، إلا أن الإمام عليه السلام قام بتلك المسؤولية على أحسن وجه، فأدى الأمانة وقام بأمور المسلمين حتى استشهاده على يد زوجته أم الفضل بأمر من المعتصم العباسي.

الكلمات المفتاحية: الإمام الجواد، الإمام الرضا، أم الفضل، المعتصم العباسي، الدولة العباسية، القتل بالسم.

Abstract:-

Imam Muhammad al-Jawad (peace be upon him) assumed the responsibility of leading the Muslims at an early stage in his honorable life. The Nawasib and enemies of the Imams of Ahl al-Bayt (peace be upon them) tried to belittle his importance (peace be upon him) due to his young age when he assumed the responsibility of leading the Muslims, but the Imam (peace be upon him) Peace be upon him) carried out this responsibility in the best way, fulfilling his trust and carrying out the affairs of Muslims until his martyrdom at the hands of his wife, Umm al-Fadl, by order of al-Mu'tasim al-Abbasi.

Key words: Imam Al-Jawad, Imam Al-Rida, Imam Al-Fadl, Al-Mu'tasim Al-Abbasi, the Abbasid state, murder by poison.

١. الولادة والنشأة:

هو محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن الامام محمد الباقر بن علي بن الحسين بن ابي طالب عليهم السلام[١]، اما امه فهي السيدة الجليلة التي كانت تكنى بأم الحسن من أسمائها التي عُرفت بها كذلك: خيزران، ويُحكى أن الرضا هو من سمّاها بهذا الاسم، ودُرّة، وريحانة[٢].

ولد الإمام الجواد عليه السلام سنة ١٩٥هـ. في المدينة المنورة .اختلف المؤرخين في ولدة الإمام الجواد عليه السلام الا ان المشهور بين المؤرخين ولادته كانت في ١٩ رمضان ١٩٥[٣].

للإمام الجواد عليه السلام كنى والقابا عديده اشهرها:

- الجواد[٤]
- التقي
- الرضي
- باب المراد

نشأ الامام محمد بن علي في بيت النبوة والإمامة في ظل الامام الرضا عليه السلام وهو يتلقى المثل العليا والمعارف والعلوم[٥] وكان لا يذكره الابكنيته يقول (كتبت إلى ابو جعفر)، (وكنت اكتب إلى ابي جعفر) وكان صبيا في المدينة فيخاطبه بهذا التجليل والتعظيم وكانت كتب الامام عليه السلام في غاية البلاغة والفصاحة[٦].

عاصر الامام الجواد أبية الامام الرضا عليهما السلام فترة قصيرة لاتتجاوز السبع سنوات وعلى الرغم من حداثة سنه كان يدير امور والده في المدينة[٧] وفي ذات يوم بعث الامام الرضا وهو في خراسان برسالة إلى الامام الرضا جاء فيها: (يا أبا جعفر بلغني ان الموالي اذا ركبت اخرجوك من الباب الصغير، فأنما ذلك من بخل بهم لئلا ينال منك احدا خيرا، فأسألك بحقي عليك، لا يكن مدخلك ومخرجك الا من الباب الكبيرة، وأذا ركبت فأصحب معك ذهب وفضة ثم لا يسألك احدا ألا اعطيته ومن سألك من عمومتك من ان تبره فلا تعطه اقل من خمسين دينارا والكثير اليك ومن سألك من عماتك فلا تعطها اقل من خمسة وعشرون دينارا والكثير اليك اني انما اريد ان يرفعك الله، فأنفق ولا تخشى من ذي العرش

اختارا)[٨]، هنا يوجه الامام الرضا ولده إلى ماكان يفعله الموالي بأخراجه من الباب الصغيرة كي لاتراه الفقراء فأمره بالخروج من الباب الكبيره لكي يراه عامة الناس.

٢. عصر الامام الجواد عليه السلام:

يعدُّ العصر الذي عاش فيه الامام محمد بن علي الجواد عليه السلام من العصور الاسلامية التي تميزت بنهضته العلمية وحضارته الفكرية ونورد هنا بعض الملامح العامة لذلك العصر:

١- الحياة الثقافية:

ازدهرت الحركة الفكرية في ذلك العصر وانتشر العلم انتشارا واسعا واقبل الناس بلهفة على طلب العلم[٩] يقول تيكلسون (كان لانبساط رقعة الدولة العباسية ووفرة ثرواتها ورواج تجارتها أثر كبير في خلق نهضتة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل... وفي عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعيا إلى موارد العلم والعرفان ليعودوا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ المتلهفين. ثم يصنفون بفضل مابذلوه من جهد متصل هذه المصنفات التي هي اشبه شيء بدوائر المعارف، والتي كان لها اكبر الفضل في ايصال هذه المعلومة الحديثة الينا لم تكن متوقعة من قبل[١٠]، وكانت هناك اربعة معالم رئيسة ينتهل منها العلم وهي:

- المدينة: من المراكز العلمية المهمة حيث تشكلت فيها مدرسة اهل البيت عليهم السلام والتي ضمت العديد من القضاة والرواة الذين عملوا على تدوين احاديث اهل البيت وتشكلت ايضا مدرسة التابعين التي عنت بأخذ الفقه مما روي عن الصحابة[١١].
- الكوفة: من المراكز العلمية المهمة بعد المدينة حيث جامعها الاعظم الذي ظم الحلقات الدراسية وكان اغلب مايدرس فيها الفقه والتفسير والحديث وقد عنيت بعلوم اهل البيت وقد حدث الحسن بن علي الوشاء فقال: ((ادركت في هذا المسجد - تسعمائة شيخ كلهم يقول حدثني جعفر بن محمد))[١٢].
- البصرة: كانت البصرة من المراكز المهمة لعلم النحو وكان اول من وضع اساس مدرسة البصرة ابو الأسود الدؤلي تلميذ الامام علي عليه السلام وكانت البصرة ايضا مدرسة لعلم التعبير الذي كان من علمائه البارزين ابو عمروا بن العلاء.

- بغداد: ازدهرت الحركة العلمية والثقافية وشملت جميع انواع العلوم العقلية والنقلية ولم تختص بعلم خاص كبقية المراكز الاسلامية بل اصبحت مركزا مهما يفد اليها طلاب العلم من جميع البلدان[١٣].

من العلوم التي انتشرت في عصر الإمام الجواد عليه السلام والتي اقبل الناس على تعلمها مايأتي:

- علوم القران والحديث الشريف
- الفقه
- علم الاصول
- علم النحو[١٤]
- علوم الطب
- علم الكيماء
- علم الفلك
- علم الترجمة[١٥]

وفي وسط هذا الجو العلمي كان الامام ابو جعفر عليه السلام هو الرائد الاعلى لهذه الحركة الثقافية.

٢ - الحياة السياسية:

كانت الحياة السياسية مليئة بالاحداث الجسام فقد بليت الامة بموجات عارمة من الفتن والاضطرابات ولعل من ابرز الاحداث السياسية التي عاصرها الامام الجواد هي الفتنة الكبرى التي وقعت بين الامين والمأمون والتي ادت إلى عدم استقرار البلاد وتدهور الامور السياسية والاجتماعية والاقتصادية فقد كان منهاج الحكم خاضعا لرغبات العباسيين ولم يكن له أي صلة بالدين الإسلامي.

ونورد بعض الامثلة على ذلك:

١- إسناد حكم الدولة: وكان يتم اسناده لأكثر من شخص، فقد بايع هارون العباسي بولاية العهد الثلاثية لأبنائه الامين والمأمون والقاسم[١٦].

٢- كان الحاكم العباسي يفوض الوزير جميع شؤون دولته ويتفرغ هو للهو والملذات.

٣- كثرة الثورات والإنتفاضات على الدولة العباسية، ومن الثورات الكبرى التي حدثت ثورة ابا السريا التي كادت ان تعصف بالدولة العباسية الا أن المأمون استطاع ان يقضي عليها عندما أجبر الامام الرضا عليه السلام على قبول ولاية العهد في خرسان(١٧).

٣ - الحياة الاقتصادية:

لم تكن الحياة الاقتصادية افضل من الحياة السياسية فقد انقسم المجتمع إلى طبقات وتكدست الاموال والثروات بيد الحكام اللذين تلاعبوا بأموال الشعب وانفقوها على شهواتهم وملذاتهم فكانت واردات الدولة ضخمة للغاية فكان الخراج في عهد المأمون يزيد على ٤٠٠ مليون درهم ولكثرة الاموال كانت لاتعد وانما كانت توزن فكانوا يقولون بلغ ستة الاف او سبعة الاف قنطار من الذهب(١٨).

إلا أن من من المؤسف أن هذه الاموال كانت تصرف على الملذات ولم تنفق على اصلاح احوال المسلمين، وقد أغدقت الكثير من الاموال وبسخاء على المغنين والمغنيات فقد غنى ابراهيم بن المهدي العباسي محمد الامين صوتا فأعطاه ثلاثمائة الف الف درهم فأستكثرها ابراهيم وقال له: ياسيدي لو قد امرت لي بعشرين الف الف درهم فقال له الخليفة: ماهي الاخراج بعض الكور كذلك تفنن ملوك بني العباس في بناء القصور المرصعة بالذهب والفضة(١٩).

كل هذه المظاهر كانت تدل على الاسراف والتبذير التي حرمها الاسلام من اجل الحفاظ على الاقتصاد العام في البلاد

مسؤولية الامام الجواد عليه السلام اتجاه إمامته:

تحمّل الإمام الجواد عليه السلام أعباء الإمامة بعد شهادة أبيه الرضا عليه السلام وله من العمر سبع سنوات، قضى أغلبها بعيداً عن أبيه عليه السلام لضرورات أمنيّة استدعتها سياسة حفظ الإمام الجواد عليه السلام. وقد اكد ت الروايات التي وردت عن الإمام الرضا عليه السلام في تعيين ولده الجواد عليه السلام اماما من بعده فقد قال عليه السلام: **(إنّ الله قد وهب لي من يرثني، ويرث آل داود)**(٢٠) وفي

رواية أخرى عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: (هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي، وصيرته مكاني، إنّا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذة بالقذّة)[٢١].

كان الإمام الرضا عليه السلام يشيد دوماً بولده الإمام الجواد عليه السلام، ويبين فضله ومواهبه وقد بعث الفضل بن سهل إلى محمد بن أبي عباد كاتب الإمام الرضا عليه السلام يسأله عن مدى علاقة الإمام الرضا عليه السلام بولده الإمام الجواد عليه السلام، فأجابه: ما كان الرضا يذكر محمداً إلا بكنيته، يقول: كتب لي أبو جعفر، وكنت أكتب إلى أبي جعفر عليه السلام وكان آنذاك بالمدينة، وهو صبي، وكانت كتب أبي جعفر ترد إلى أبيه وهي في منتهى البلاغة والفصاحة[٢٢].

عاصر الامام الجواد عليه السلام شخصيةً ذات دهاء لانبالغ اذا قلنا انها لاتقل عن دهاء معاوية بن أبي سفيان، ونقصد بها شخصية (المأمون العباسي) فقد سعى المأمون إلى سياسة خاصة به ولم يتبع السياسة التي اتبعها كافة ملوك بني العباس، إذ ركز على محاولة إضعاف الفكر الشيعي والطعن به من الداخل من خلال المناظرات التي اجراها في داره في محاولة حثيثة منه لإضعاف الامام الجواد عليه السلام لكي يبين للعامة أن الامام تابع للسلطة خطوة منه لضمان المعارضين الشيعة.

ومن أهم مناظرات الإمام الجواد عليه السلام أيام عهد المأمون العباسي في بغداد كانت مع يحيى بن أكثم قاضي قضاة الدولة آنذاك، وكان سبب إجراء هذه المناظرة أنّ المأمون أراد تزويج الإمام الجواد عليه السلام من ابنته أم الفضل إلا ان العباسين اعترضوا على ذلك، فقال لهم المأمون امتحنوا أبا جعفر عليه السلام، فعزموا على ان يسالوه مسألة يعجز عنها واختاروا لهذا يحيى بن أكثم، فابتدأ يحيى بالسؤال، فقال للإمام عليه السلام: ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيدا؟.

فقال أبو جعفر عليه السلام: (قتله في حل أو حرم عالما كان المحرم أو جاهلاً قتله عمداً أو خطأً، حراً كان المحرم أو عبداً، صغيراً كان أو كبيراً، مبتدئاً بالقتل أو معيداً، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد أم من كبارها، مصراً على ما فعل أو نادماً، في الليل كان قتله للصيد أم في النهار، محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟)

فاصابت يحيى بن أكثم الدهشه وتحير في امره، عندها اجاب الامام وبالتفصيل عن هذه المسائل قائلاً: (إن المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير، وكان من

كبارها، فعليه شاة، فان أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، وإذا قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، فإذا كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، و إن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظبياً فعليه شاة، وإن كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة. وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه، وكان إحرامه بالحج نحره بمنى، وإن كان إحرامه بالعمرة نحره بمكة، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء وفي العمد عليه المأ ثم وهو موضوع عنه في الخطاء، والكفارة على الحر في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة والنادم يسقط ندمه عنه عقاب الاخرة والمصر يجب عليه العقاب في الاخرة)[٢٣].

مواجهة الإمام الجواد عليه السلام للفرق الكلامية:

انتشرت في عهد الامام الجواد عليه السلام مجموعة من الفرق الكلامية أهمها الآتي:

- الواقفة
- الزيدية
- الغلاة
- أهل الحديث

وقد تصدى الامام عليه السلام لهذه الفرق مبينا للشيعة عقائدتلك الفرق الكلامية المنحرفة عن الدين الاسلامي ومدى خطورة معتقداتهم وافكارهم إذ نهى عليه السلام المسلمين من التعامل معهم وضع الامام الجواد عليه السلام الزيدية والواقفة ضمن النواصب[٢٤]، وبين أن الاية القرأنية (وجوه يومئذ خاشعة) قد نزلت فيهم[٢٥] ومنع اصحابه من الصلاة خلفهم[٢٦]، كذلك نهى الامام عليه السلام الشيعة من الصلاة خلف من يعتقد بالتجسيم (اي تجسيم الله) ومنع دفع الزكاة إليهم[٢٧] وفسر الآية القرانية ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ❖، كما نفى عليه السلام رؤية الله بالعين وان اوهام القلوب اكبر من ابصار العيون فهو لاتدركه الاوهام وهو يدرك الاوهام[٢٨]، كما لعن الامام الجواد عليه السلام الغلاة وقال عنهم ان هؤلاء باسمنا اهل البيت يستغلون الناس[٢٩].

ومن المسائل الأخرى التي ابدع الامام عليه السلام فيها قطع اليد:

اختلف القضاة في موضع قطع يد السارق ومن اين يجب قطعها، فسألوا الامام الجواد عليه السلام في ذلك وكان ذلك في محضر المعتصم العباسي فأجاب عليه السلام، القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع ويترك الكف. فقال له وما الحجة في ذلك؟ قال: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين. فإذا قطعت يده من الكرسوع، لم يبق له يد يسجد عليها، وقد قال تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾، يعني بهذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها وما كان لله لم يقطع. قال: فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف[٣٠].

ولقد كان المعتصم شديد الحقد والكراهية للامام الجواد عليه السلام لذلك فقد فرض على الامام عليه السلام الاقامة الجبرية والرقابة الشديدة ليكون على علم بجميع تحركاته، وبدء بحياكة المؤمرات الواحدة تلو الاخرى من اجل التخلص من الامام عليه السلام، فقيل بأنه أوعز إلى زوجته ام الفضل التي دست إليه السم[٣١].

الخاتمة:

كان الإمام الجواد عليه السلام رغم صغر سنه عالما فاق أهل زمانه بعلومه التي ورثها عن آبائه وأجداده الطاهرين عليهم السلام الذين ورثوا العلم من المنبع الصافي الأصيل، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أوحاه إليه الله سبحانه وتعالى، فهو علم إلهي يفوق قدرة البشر مهما على شأنهم، وقد تقلد الإمام الجواد عليه السلام مسؤولية إمامة المسلمين بعد استشهاد أبيه الإمام الرضا عليه السلام، على الرغم من صغر سنه فقام بقام الإمامة على أحسن وجه وهو ماأغاظ المعتصم العباسي فدفع بزوجة الإمام عليه السلام المعروفة بأم الفضل إلى أن تدس له السم ليذهب شهيدا محتسبا ولتفقد الأمة الإسلامية إحدى دعامات الإسلام الرصينة والتي وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعدل الثاني مع القرآن الكريم حبلان ممدودان مأن تمسكنا بهما فلن نضلّ أبدا ولكن حكام الجور وأئمة الضلالة أبوا إلا أن يضحوا بهذا الحبل الإلهي.

هوامش البحث ومصادره

• **إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم.**

(١) ابن خلكان، ابو العباس احمد بن محمد بن ابي بكر(ت٦٨٠-١٢٨٠م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق، احسان عباس، (دار صادر بيروت)، ٩/ ١.

(٢) إبن تغرى بردى، النجوم الزاهرة: ٢٣١/٢، الحر العاملي، ا لفصول المهمة: ٢٥٢، الشيخ المفيد، الارشاد: ٣٥٦.

(٣) الموسوي، حسين، أُمّهات المعصومين .ص. ٢٦١.

(٣) الإربلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ٨٦٧؛ المسعودي، إثبات الوصية، ص ٢١٦؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٧٩.

(٤) المجلسي، بحار الانوار، ٥٠/ ١٨، الخصيبي، ابو عبدالله الحسن بن حمدان (ت ٣٣٤/ ٩٤٥م) الهداية الكبرى، ط ٤ بيروت، ١٩٩١، ١/ ٢٨٥

(٥) القرشي، باقر شريف، حياة الامام الجواد، ط٣ الكاظمية/ص ٢٤- ٢٦

(٦) المجلسي، بحار الانوار:٥٠: ٣٦

(٧) القرشي، حياة الإمام الجواد، ص ٣٣

(٨) الشيخ الصدوق، عيون اخبار الرضا: ٨/٢

(٩) القرشي، حياة الإمام الجواد، ص٢٢٩، لجنة تأليف، اعلام الهداية (الامام محمد بن علي الجواد)، ط١- قم) ص٩٢

(١٠) حسن، ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ٢/ ٣٢٢

(١١) القرشي، حياة الإمام الجواد، ص٢٢٩

(١٢) القرشي، حياة الامام موسى بن جعفر: ٨٢/١

(١٣) القرشي، حياة الإمام الجواد، ص٢٣٠

(١٤) القرشي، حياة الإمام الجواد، ٩٤- ٩٧

(١٥) رفاعي، احمد فريد، عصر المأمون ، (القاهرة،١٩٢٨) ١/ ٣٧٥

(١٦) نفس المصدر، ١٣٠/١

(١٧) القرشي، حياة الإمام الجواد، ٢٤٩-٢٥٠

(١٨) الصدر نفسه، ١٧٩-١٨٢

(١٩) المصدر نفسه، ٢٥٨

(٢٠) المجلسي، بحار الأنوار: ج ١٢، ص ١٠٤.

(٢١) الكليني، الكافي، ج١،ص٣٢٠

(٢٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج ١٢ ص ١٠٤، الحر العاملي، إثبات الهداة: ج ٦ ص ١٦١.

(٢٣) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٣٦٨-، إبن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٣٣٥، أديب، عادل، الأئمة الإثنا عشر، ص ٢٢٢.

(٢٤) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) تصحيح وتعليق: حسن معطوكي، مشهد، ١٣٤٨ش، ص٤٦٠

(٢٥) الكشي، رجال الكشي، ص٢٢٩-٤٦٠

(٢٦) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الاحكام، تحقيق، حسن الخرساني، بيروت ،دار الاضواء، ط٣ ١٩٨٥ ،ج٣، ص٢٨

(٢٧) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، تصحيح، هاشم حسيني الطهراني، نشر صدوق، ط١، ١٣٧٣ش، ص١٠١.

(٢٨) الكليني، الكافي، ج١، ٩٩

(٢٩) الكشي، رجال الكشي، ص٥٢٩-٥٢٨

(٣٠) المازندراني، نور الابصار، ص٣١٢

(٣١) القرشي، حياة الإمام الجواد، ٣١٦-٣١٩.